الفصل الثالث

==

أهم الممالك الإسلامية التي أسسها العرب في العصور الوسطى من العرب العفريين والصوماليين في الحبشة « مسلمى زيلع »

===

المحتويات :

١ – مملكة شوا الإسلامية.

٢ – إمارة زيلع.

٣ – إمارة هرر.

٤ – امارة جما الإسلامية.

٥ – الإمارات الإسلامية السبع فى القرن الإفريقى :

١ – إمارة إيفات الإسلامية.

٢ – إمارة عدل الإسلامية.

٣ – إمارة هدية الإسلامية.

٤ – إمارة الدوارو الإسلامية.

٥ – مملكة فطجار.

٦ – مملكة بالى.

٧ – مملكة شرفة.

١ - مملكة شوا الإسلامية :

تألفت من المهاجرين إلى الحبشة ، ومن القبائل التى اعتنقت الإسلام فى تلك القرون ومن الممالك والسلطنات الناشئة حيث بدأت صغيرة ثم أخذت فى النمو والاتساع ، وازداد شأنها وتوطدت أقدامها · وسبق أن أشرنا فى المقدمة إلى أن الإسلام لم يدخل إلى الحبشة عن طريق غزو عسكرى أو حروب كما حدث فى الفتوحات الإسلامية الكبرى التى تغلبت فيها الدولة الإسلامية على الدول المجاورة ودخلت إليها بجيوشها وسلطانها وتنظيماتها وأساليبها الجديدة فى الحكم ، بل كان دخول الإسلام إلى الحبشة تغلغلا هادئا بدأ بالمهاجرين الذين ينشرون الدين الجديد بين القبائل الوثنية بمختلف الأساليب، وكان لتفوقهم الحضارى أكبر الأثر فى استجابة الكثيرين من أهل البلاد إلى الدعوة (١) · وتأسست هذه المملكة الإسلامية فى قلب الهضبة الحبشية فى إقليم شوا المشهور ، وذلك فى عهد حكم ملوك الحبشة الأجوويين· وكان سلاطين هذه المملكة من بنى مخزوم (مخزومى) أسرة سيف الإسلام خالد بن الوليد ·

إن إنشاء هذه الدولة يعود إلى عام ٦٩٨ م ، فبنى مخزوم من المهاجرين الأوائل إلى الحبشة فى عهد الأمويين حيث تغلغلوا داخل القرن الإفريقى، وتمكنوا من إنشاء تلك الدولة الإسلامية فى هذا المكان من قلب الحبشة الذى يعتبر من أمنع المعاقل فوق مرتفعات الهضبة ، والذى تقع به مدينة أديس أبابا الحالية · وقد استمرت مملكة شوا الإسلامية خلال أربعة قرون فى شبه عزلة عن العالم الخارجى ، كما استمرت أسرة بنى مخزوم على عرش هذه المملكة

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق و ص ٨٢ ·

حتى عام (١٢٢٥م) [١] حيث اغتصبها منها شيخ يدعى مالازا الذى بقى على العرش ١٨ عاما، وبعدها استولى عليها سلطان آخر ، وانتقل الحكم من ملك لآخر فى حروب داخلية لا تهدأ حتى تدهور حال المملكة · وفى نفس الوقت كانت مملكة إيفات (IFAT) تراقب الأمور فى مملكة شوا الإسلامية عن كثب ، وانتهزت فرصة تحللها وجردت عليها أربع حملات انتهت باستيلاء مملكة إيفات الإسلامية على مملكة شوا عام ١٢٨٩م · وتنسب مملكة بنى مخزوم فى شوا إلى (ود بنى هشام المخزومى) الذى خرج من الحجاز ناقما فى خلافة عمر بن الخطاب · ويعود تاريخ قيام هذه المملكة إلى أواخر القرن السادس الهجرى ·ويذكر هذا صاحب تاريخ بنى مخزوم فى نهاية القطعة الأثرية التى عثر عليها بدءا بالإمارة المخزومية فيقول : (وبلغنا أن أمراء بنى مخزوم من أولاد ود هشام المخزومى كانوا قد خرجوا زمن عمر بن الخطاب) · ومن تولى من أولاده فى شوا ملكها ٢٨٣ هـ إلى ٨٩٦ هـ إلى السنة المذكورة ٦٨٤ وبذلك مكثت ٣٩٠ سنة · ويقول تشيرول : (إن لغةً حبشيةً سامية كانت لغة التخاطب فى إمارة شوا) ·

وتعتبر سلطنة شوا أقدم سلطنة إسلامية نشأت فى منطقة القرن الإفريقى على الاطلاق، وانتهت عام ٦٨٤ هـ /١٢٨٥م على أيدى سلطنة أوفات التى استولت عليها وأصبحت شوا ضمن الأقاليم التى تكونت فى هذه السلطنة [٢] ·

ويمكن وضع سلطنة شوا بين خطى عرض ٧ ، ١٠° شمال خط

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٤ ·

(٢) زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا ، ص ٧٢ ، ٧٣ ·

الاستواء ، وبين خطى طول ٣٨ ، ٤١° شرقا (١) ، ويحتل موقعها الآن ما يعرف باسم إقليم Tulama حيث تقع مدينة أديس أبابا (٢) · ومعروف أن الجزء الغربى من هضبة شوا كان مقرا للأسرة السلمانية التى حكمت بلاد الحبشة كلها منذ عام ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠م · وعلى هذا فقد وقعت سلطنة شوا الإسلامية بين سلطنة أوفات الناشئة من الشرق ومملكة شوا السليمانية المسيحية من الغرب (٣) ·

٢ - إمارة زيلع :

يذكر ابن سعيد المغربى زيلع على أنها من مدن القرن الإفريقى المشهورة التى كانت تقطنها القبائل العفرية والصومالية والتى تقع اليوم فى الأراضى الصومالية · ويقول المغربى : (أهلها مسلمون يكثرون الحج والتردد على ساحل عدن وزبيد وهى محل حط وإقلاع) · ويسمى الدمشقى زيلع باسمها الصومالى (عودل) وما زال هذا الاسم متداولا بين الصوماليين المحليين· وقد كانت زيلع من أهم المستوطنات العربية على الساحل الصومالى الشمالى، وكانت تتحكم فى تجارة هضبة الحبشة وما ورائها مع الجزيرة العربية فى الشرق · فمن زيلع كانت تصدر منتجات الحبشة والصومال، وأهمها الجلود، والصمغ والسمن والعاج وعطر الزباد ، وتصل إليها الواردات كالأقمشة والبخور والأسلحة والأوانى الفخارية والخزفية ·

---

(1) The Atlas od Africa , P. 227.
(2) Trimingham : Op. Cit., map
(٣) رجب محمد عبدالحليم « دكتور »: مرجع سابق ، ص ٢٤ ·

السلطان أبو بكر محمد
سلطان زيلع
١٨٥٥م - ١٨٧٥ م

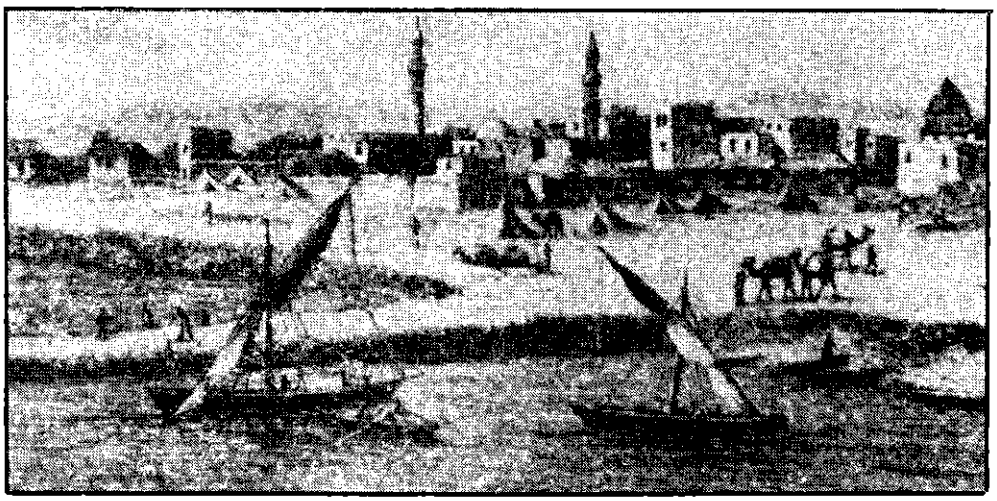

مدينة زيلع فى العصور الوسطى

٣ - إمـارة هـــرر :

تقع مدينة هرر شـرق أديس أبابا وسط هضبـة على ارتفاع خمـسة آلاف قدم فوق سطح البحر ، وهى مدينة مسورة ، أسستها إما مستوطنة عسكرية سـامية من الشمـال ، أو مهـاجرون من الجـزيرة العـربية · وقـد اعتنق سكانهـا الدين الإسـلامى فى وقت مـبكر ، وعـملوا على نشـره· وكان لهـا دور مـهم فى التصـدى لحملة ملوك الحبشة الغـازية لأراضيهم · وكـانت هرر مركـزا تجاريا مهما على طريـق القوافل بين زيلع وهضبة الحبشة · وأهـل هرر قوم متدينون وبالمدينة أكـثر من ٨٠ مسـجـدا · ولمدينة هرر لغة محليةخـاصـة بها تعـرف

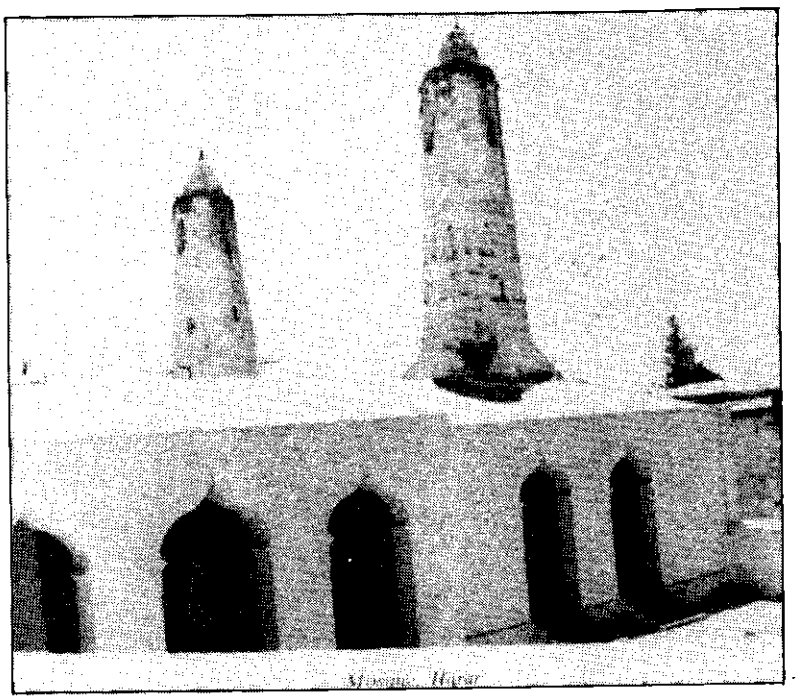

مسجد هرر القديم

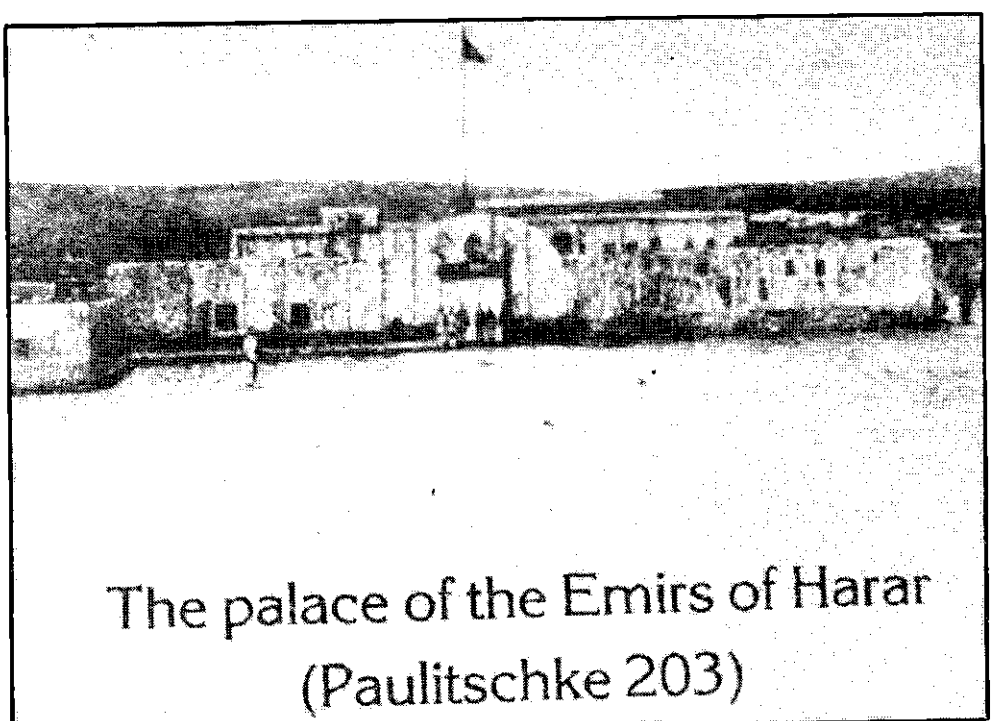

قصر هرر

باسم (حضرى) وهى متأثرة كثيرا باللغة العربية ولاسيما فى مجال المفردات لكونها منذ الأمد البعيد الإمارة الإسلامية الأولى فى الحبشة ، وتكتب لغتها بالحروف العربية ٠

ضعف إمارة هـــرر :

وكان قد انتهى مجد سلطنة هرر الإسلامية بعودة الأمير المجاهد عام ١٥٦٨م – ٩٧٥ هـ ، والتى كان قد اتخذها المسلمون مقرا لهم عام ١٥٢٠م الموافق ٩٢٦ هـ ٠ ومنهم الإمام أحمد بن إبراهيم الشهير بجيران ٠ وبعد هذه الإمارة انسحب من بقى منهم إلى زيلع على الساحل الشرقى من بلاد الدناكل (عفر) واتخذوا مدينة (أوسا) مقرا لهم ٠ حيث انتهت مقاومتهم لملوك وأباطرة الحبشة بعد تلك الحروب الطاحنة، وتوقفوا عن أى مقاومة لملوك الحبشة – إلا فى فترات متقطعة – الطامعين فى توسيع ملكهم بهذه البلاد ، والذين استعانوا بالبرتغاليين لتزويدهم بالأسلحة المطورة آنذاك ٠ وأمام هذا التحالف الأجنبى استسلمت إمارة هرر أمام هذه الجيوش المتحالفة ٠ ولقد أقام المسلمون فى هذه الإمارة ثلاثة قرون متتالية نشروا خلالها لغة التوحيد والعدل فى أرجاء جميع السلطات الإسلامية التى شهدتها الحبشة ٠

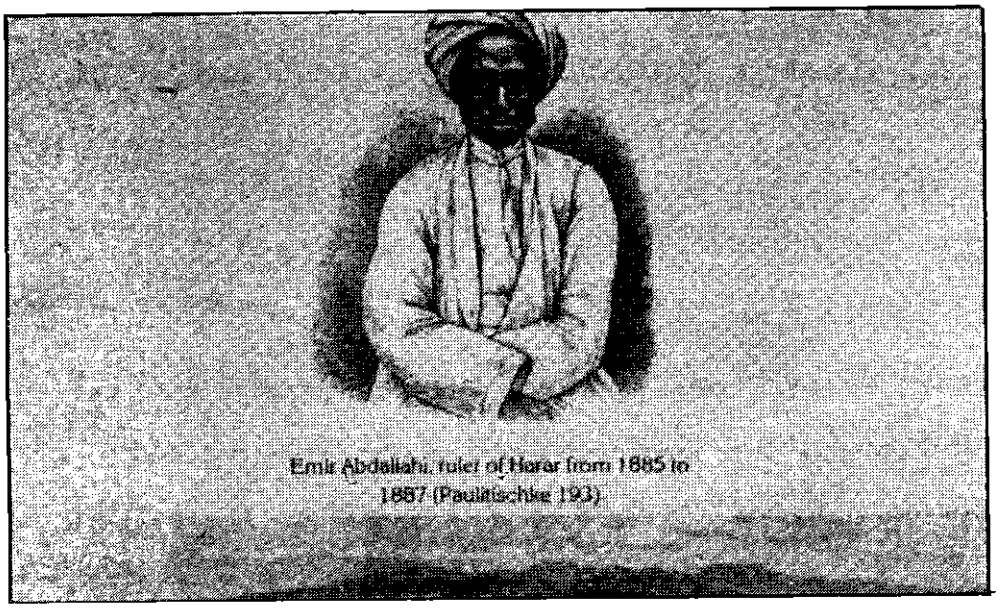

الأمير عبد الله حاكم هرر

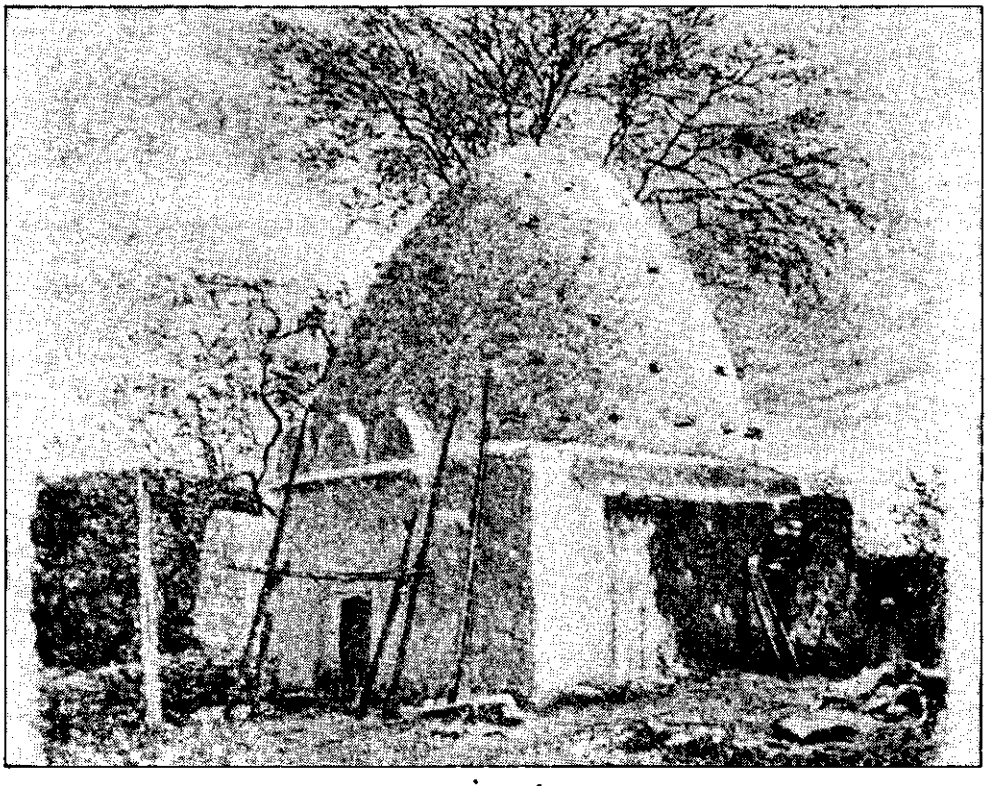

ضريح فى هرر

صورة لفتاتين من بنات عرقبة

إمارة جما الإسلامية :

كانت مقاطعة جما فى الجنوب الغربى الحبشى التى يسكنها قبائل أرمو (جالا) إمارة وثنية، فقد أسلم أهلها فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى فأصبحت سلطنة إسلامية ملكها السلطان محمود بن داود المشهور (بأبى حفار) أى صاحب الحصان الكميت والتكينى- وهذه أسماء للخيل - وهما من الألقاب التى يفخر بها الأبطال عند قبائل أرومو ، وقد تولى حكمها أبو حفار فى عام ١٢٩٥ هـ الموافق ١٨٧٨م ،وكان على علاقة حسنة مع حكومة الحبشة ومساعدا لها فى إدارة البلاد الخارجية · وكانت إمارة جما من أغنى المناطق فى الحبشة ، وكانت ملجأ للمسلمين مثل سلطنة أوسا التى كانت تميل للأمن والاستقرار والدعوة باعتبارها السلطنة الإسلامية التى بقى لها استقلالها · وقد طمع فيها منليك فاعتدى عليها وأدخلها تحت حمايته عام ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨١م ، تاركا لها استقلالها الداخلى على أن تكون وراثية فى ذرية أبى حفار، على أن تؤدى جزية سنوية إلى حكومة أديس أبابا · وبسقوط هذه المملكة الإسلامية الظاهرة لم يبق فى الحبشة سلطنة إسلامية مستقلة باستثناء سلطنة أوسا العفرية التى حافظت على استقلالها الذاتى لقرون طويلة ، بعد أن كانت الممالك الإسلامية فى الحبشة كثيرة وكان لكل واحد منها جيش خاص وإدارة واستقلال داخلى · وكان العلماء الصالحون من شتى البلاد العربية يأتون إلى تلك الإمارات الإسلامية فى الحبشة لإرشاد أهلها ونشر الدعوة الإسلامية فيها والإقامة بها حتى اختلطوا بقبائل تلك البلاد وامتزجوا فيها وتصاهروا مع أهلها ، ولا يزال منهم حتى الآن بعض الأسر العربية المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم العربية مثل قبائل (عرقبا) التى قدمت من سوريا ، وهذا يظهر فى لبسهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية القديمة ·

الأمير أحمد بن أبو بكر حكم من ١٨٥١ - ١٨٦٦

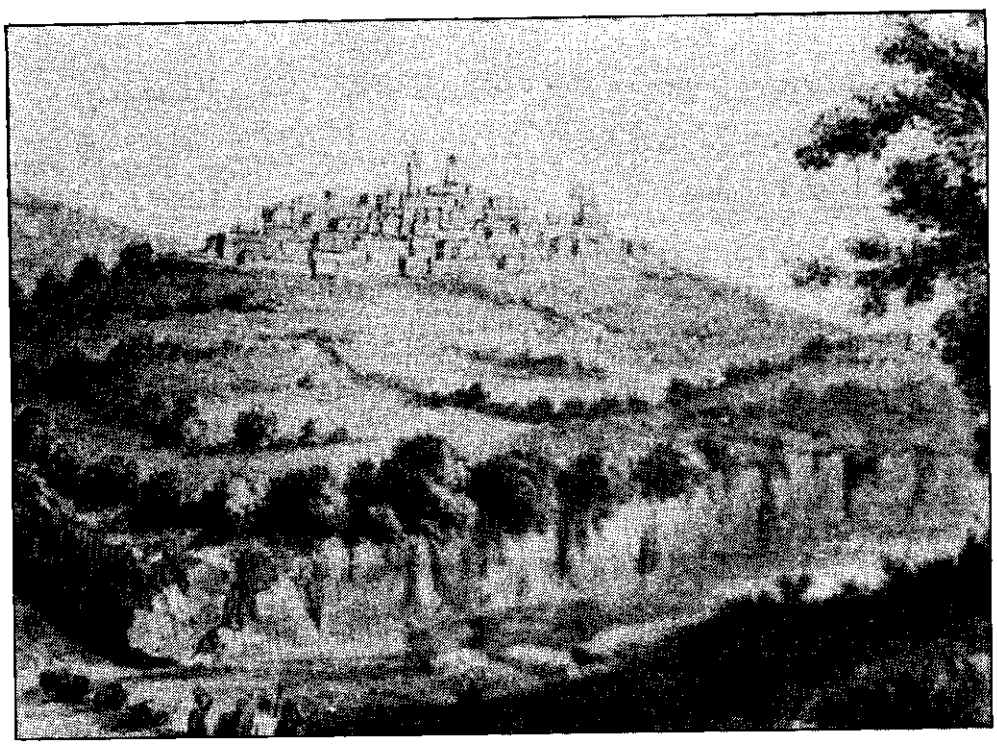

قلعة هرر فى القرون الوسطى

وبلاد الزيلع والحبشة تقع الآن فيما يسمى بمنطقة القرن الإفريقى التى تضم دول : إثيوبيا ، إريتريا ، الصومال ، جيبوتى (١) ٠

وطبيعى أن هذه الأسماء لم تكن كلها معروفة فى العصور الوسطى ٠ فقد كان هناك ما يعرف عند العرب والمسلمين باسم الحبشة التى حرفها البرتغاليون إلى كلمة Abyssinia ، وهناك بلاد الزيلع التى نشأت فيها ممالك الزيلع الإسلامية ٠

وعلى ذلك فإن الهضبة الشرقية لدولة أثيوبيا الآن بما فيها منطقة هرر وأروس وبالى ومنطقة الأوجادين كانت جزءا من بلاد الزيلع الإسلامية فى العصور الوسطى ٠ وكذلك الأقاليم الإثيوبية الحالية التى تشمل سلطنة أوسا وبيرو وجزءا كبيرا من جنوب إريتريا يقع شمال الهضبة الشرقية وشرق الهضبة الحبشية ، كانت أيضا كلها ضمن بلاد الزيلع الإسلامية (٢)

وبتحديد أدق فإن بلاد الزيلع كانت تمتد من ميناء مصوع شمالا إلى إقليم الأوجادين جنوبا ، ومن رأس غوردافو شرقا حتى أطراف الهضبة العربية غربا ٠ بل إن الدولة الإسلامية امتدت لتشمل بعض أجزاء هذه الهضبة فيما كان يعرف بسلطنة شوا الإسلامية التى كانت تقع فى الجزء الشرقى من هضبة شوا حيث تقع مدينة أديس أبابا الآن وتشمل أيضا ما كان يعرف

---

(١) انظر خريطة رقم (١) التى تبين حدود الحبشة والإمارات الإسلامية فى القرن ١٣، ١٤، ١٥م، وهى مأخوذة من كتاب رجب محمد عبدالحليم : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى ٠

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥ ، القاهرة ، ص ١٣ ٠

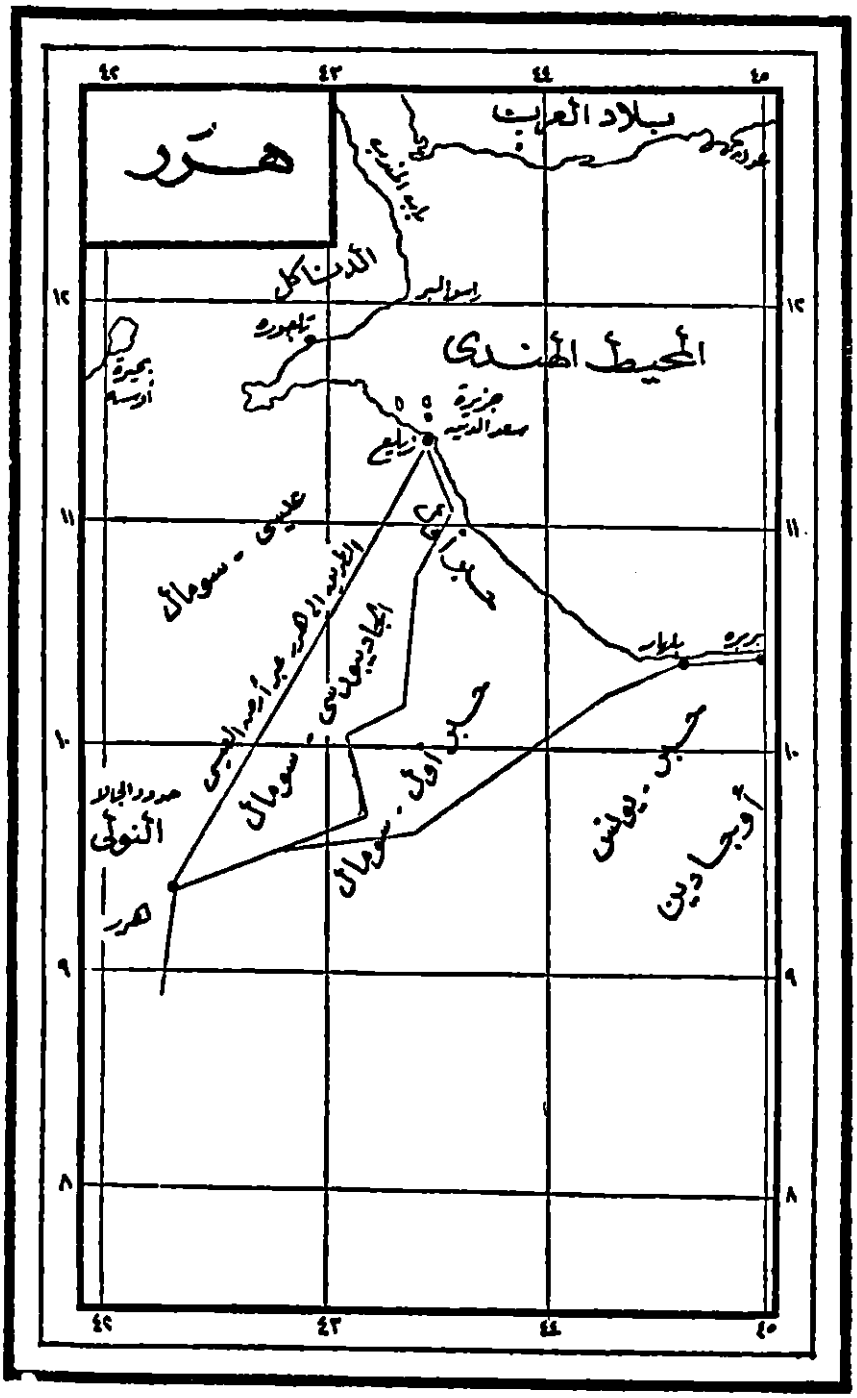

هذا الرسم عمل بالاستعانة بالخريطة التى وضعت الرحالة "برتون"
وبخريطة أركان حرب الجيش المصرى التى وضعت بعد فتح هرر
(موضح بها موقع نزول مدة تاجورة ، زيلعى ، بلاد ، بربره - والطرق المؤدية
من هذه الموانى لهرر والقبائل الموجودة فى هذه الجهات

بمملكة هدية ومملكة شرفا الإسلاميتين الواقعتين جنوب هضبة شوا فيما يعرف الآن بإقليم جالا تلما وجوراجيا وكمباتا (١) ٠

وقد عبر المؤرخون القدماء عن هذه الحدود بوضوح، فقال القلقشندى أن بلاد الزيلع هى « البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالى بحر القلزم «البحر الأحمر» ، وما يتصل به من بحر الهند «المحيط الهندى» ٠ ويعبر عنها باسم الطراز الإسلامى لأنها على جانب البحر كالطراز له » (٢) ٠وقال العمرى إن «هذه البلاد يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع ٠٠ وأن طولها برا وبحرا خاصا بها نحو شهرين وعرضها يمتد أكثر من ذلك (٣) ٠ وقال المقريزى إن جبرت (أوفات) من أرض زيلع ، وإن إقليم هدية من بلاد الزيلع (٤)٠ وجبرت فى شرق البلاد وهدية فى أقصى حدودها الغربية جنوب أديس أبابا الحالية ٠

وهكذا حدد القلقشندى موقع بلاد الزيلع ، وحدد العمرى طولها وعرضها ، وهو طول وعرض يتناسب مع الحدود التى وردت لتلك البلاد ، وأشار المقريزى إلى أقصى حدودها الغربية وهى مملكة هدية الإسلامية التى كانت تقع غرب الأخدود الإفريقى (٥)٠

ويقول الدكتور رجب محمد عبدالحليم :

« وكان سكان بلاد الزيلع الإسلامية يتكونون من عناصر حامية وعربية٠ وأغلب هذه العناصر الحامية هى ما يعرف بقبائل الصومال والجالا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ ٠

(٢) صبح الأعشى : جـ ٥ ، ص ٣٢٤ ٠

(٣) مسالك الأبصار ، جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٧٧ ٠

(٤) المقريزى : الإلمام بمن فى الحبشة ، ص ٣ ، ٩ ٠

(٥) رجب محمد عبدالحليم « دكتور» : مرجع سابق ، ص ١٦ ٠

« أرومـوا » والعـفـر أو الـدناكل · وكـان العـفـر يرتكزون شـمـال نهـر أواشـى ، والصـومـال والجالا يرتكـزون جنوب هذا النهر وفى الهـضبـة الشرقـية لإثيـوبيا الآن · وتلك الشعـوب التـى تكونـت منها الإمارات الإسـلامية فى تلك الفـترة – من العفر والصـومال والجالا – أطلق عليها اسم « الزيلع » أو الزيالعة ·

ولم يكن يجمع هؤلاء الزيالعة مملكة واحدة فى العصـور الوسطى ، بل توزعوا بين عدة ممالك وسلطنات إسلامية لم تكن متحدة أو متعاونة فى معظم الأحيان ، وكان يحكم كل منها ملك مستقل (١) ·

ويقول المقريزى : « طول أرض زيلع برا وبحرا نحو شهرين » أى ٢٧٠٠ كم تقـريبـا بالمقاييس الحديثة وعـرضـهـا أكـثر من شـهـرين أى نحـو أكثـر من «٣٠٠٠ كم» (٢) · ويقول أحمد برخت ماح « ولممالك الزيلع لغات مختلفة منها هذه اللغـات : ١– أبو ، ٢– إيكا ، ٣– وريا ، ٤– سـيـدامـو ، ٥– كـمـبـات ، ٦– جـورجى ، ٧– هـررية ، ٨– لافـى ، ٩– الابو، ١٠– برجى ، ١١– دراسـة ، ١٢– ولامو ، ١٣– حمركوك ، ١٤– عفر (٣)·

والزيالعـة مغـايرون ومتـمـيـزون عـمن حولهـم سـواء من ناحـية اللغـة أو الدين أو العـادات والتـقـاليـد · فـهـم جـمـيـعـا مـسـلـمـون وتجـمـعـهـم تقـريبـا وحـدة الأصـول والتاريخ ، وهـم يعتقدون أنهم ينتمون لسلالة معين (٤) ·

---

(١) العمـرى : مسـالك الأبصـار ، حـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٧٧ · والقلقشـندى : صـبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ٢٣٥ ·

(٢) المقريزى : الإلمام ، مرجع سابق ·

(٣) أحمد برخت ماح : وثائق عن الصومال – الحبشة – إريتريا ، القاهرة ١٩٨٢ ، الطبعة الأولى ، ص ٥٦ ·

(٤) محمـد عبدالغنى سعودى « دكتـور » : إفريقيا دراسـة لشخصـية الأقاليم ، القاهرة ١٩٧٦ ، الأنجلو المصرية ، ص ٢٨٠ ·

ويقول سبى : « إن انتشار الإسلام لم ينحصر فى السواحل الإريترية بل امتد عبر إريتريا إلى داخل الحبشة حتى تألفت سبع ممالك إسلامية عربية عرفت ببلاد الطراز الإسلامى (١) ٠

ويمضى أيضا « صبح الأعشى عن مسالك الأبصار » فى وصف بلاد مسلمى الحبشة واصفا إياها بالطراز الإسلامى لأنها على جانب البحر كالطراز له وهى البلاد التى يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع (٢) ، والزيلع إنما هى قرية من قراها ، غلب عليها اسمها ٠

تكوين الإمارات الإسلامية السبع فى القرن الإفريقى :

وعندما جاء القرن السابع الهجرى وجدت فى تلك البلاد سبع إمارات إسلامية زاهرة بالعلم والتقوى ترفرف العدالة الإسلامية والمساواة الحقيقية عليها ، وكانت ذات مساجد وجوامع تقام فيها صلاة الجماعة ، وكانت على جانب عظيم من السعادة والرخاء ٠ وهذه الممالك السبع هى إيفات ، وروورة ، أربين ، هدية ، شرفة ، بالى ، دارة ٠ وقد امتدت من زيلع فى الساحل الصومالى فى خليج عدن حتى قلب شوا « إيفات » وإلى بحيرات عروسى ، وجاء تفاصيل ذكرها فى كتب التاريخ العربية مثل كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمرى ، وكتاب الإلمام بمن فى الحبشة من ملوك الإسلام للمقريزى (٣) ٠

---

(١) عثمان صالح سبى : مرجع سابق ، ص ١٢٠ ٠

(٢) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٦ ٠

(٣) عثمان صالح سبى : تاريخ إريتريا ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ١٩٨٤، ص ١٢٠ ٠

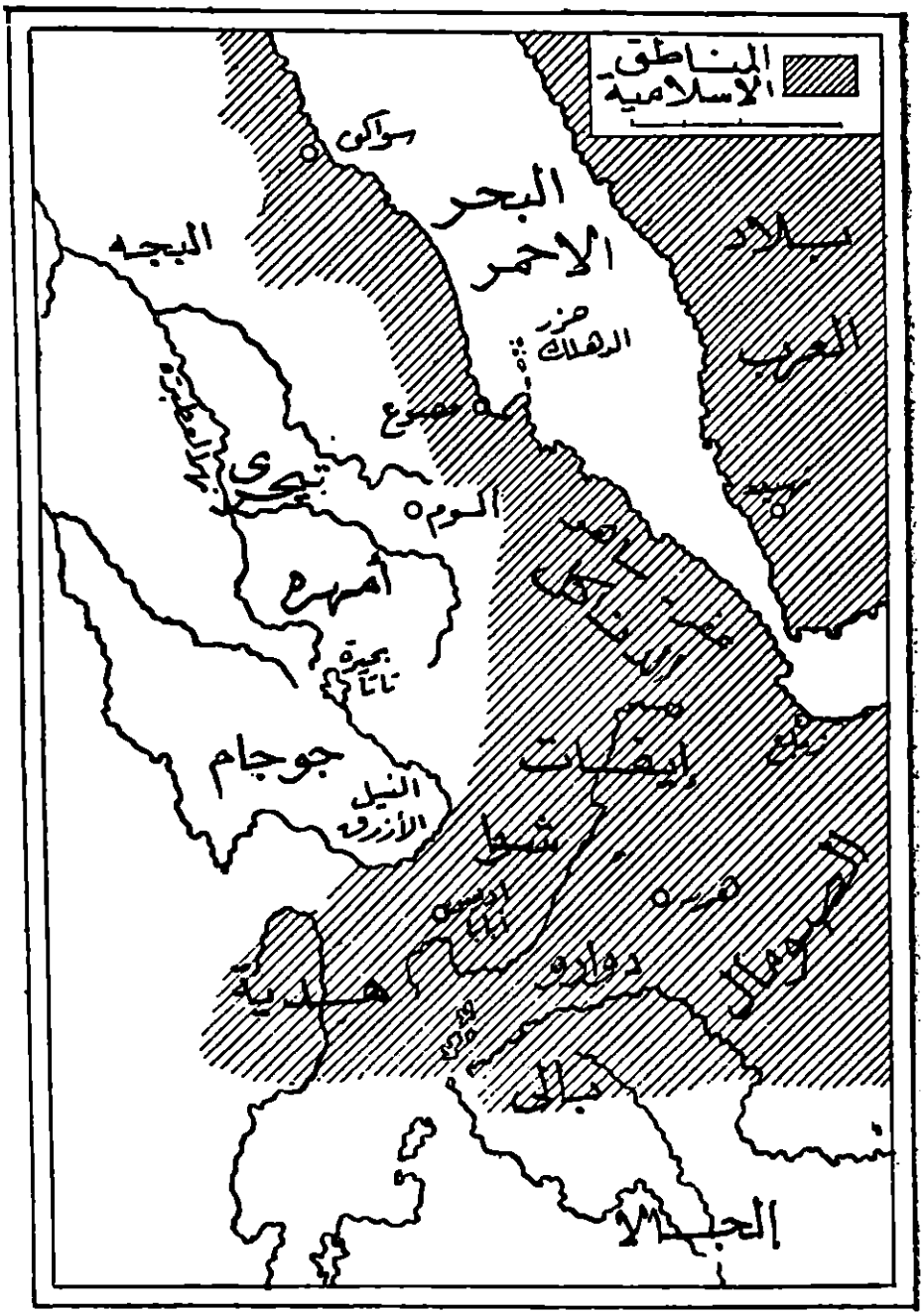

المقاطعات الاسلامية فى عهد عمدا سيون

(١٣١٤ - ١٣٤٤م)

(ص ١٦ الإسلام فى أثيوبيا - ترجمة جامع)

١ – إمـارة إيفـات الإسلاميـة :

وتنسب هذه السلطنة إلى اسم عاصمتها وهى مدينة أوفات التى كانت تسمى أيضا مدينة جبرة أو جبرت ، والتى كانت تعتبر من أكبر مدن منطقة القرن الإفريقى ، وهى على مسافة عشرين مرحلة غرب مدينة زيلع (١) .

ومملكة إيفات الإسلامية كانت أوسع الممالك الإسلامية السبع فى الحبشة . ويقول العمرى : « ليس بأوفات سكة تضرب بل كانت معاملاتهم بدنانير ودراهم مصرية الواصلة إليهم فى صحبة التجار وكان أمراؤها من العرب المهاجرين » . ويقول المقريزى : « إن مملكة إيفات أسسها قوم من قريش ، ومنهم من يقول هم من بنى عبدالدار ، ومنهم من يقول إنهم من بنى هاشم ، ثم من ولد عقيل بن عبدالمطلب قدم أولهم من الحجاز ونزل أرض (جبره) التى عرفت فيما بعد باسم جبرت » (٢) ، هى من أرض زيلع واستوطنوها . وكانت هذه السلطنة أوسع ممالك الزيلع أرضا ، فقد كان طولها يبلغ مسيرة خمسة عشر يوما وعرضها مسيرة عشرين يوما بالسير المعتاد (٣) . وكانت تشمل ما يعرف الآن بجيبوتى والجزء الجنوبى من إريتريا وسهول الدناكل وتمتد جنوبا وتضم الجزء الشرقى من حوض نهر أوشى ، والهضبة الصومالية بما فيها منطقة هرر والأوجادين ، وتمتد شرقا لتشمل جزءا كبيرا مما يعرف الآن بالصومال الشمالى بما فيه من موانى زيلع وبربر ، ويمكن وضع هذه المساحة الواسعة بين خطى عرض ٨° ، ١٥° شمال خط

---

(١) رجب محمد عبدالحليم «دكتور» : مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٢) العمرى : مسالك الأبصار ، مرجع سابق و جـ ٢ ، ق ٣ .

(٣) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٧ .

الاستواء وبين خطى طول ٤٠° ، ٤٦° شرقا (١) .

وعلى ذلك فقد كانت سلطنة أوفات تسيطر على مدخل البحر الأحمر من الجنوب الغربى وتقابل بلاد اليمن ، وهى بذلك أقرب بلاد الزيلع إلى مصر (٢) .

وكانت ذات قوة عسكرية لا بأس بها ونظرا لاحتواء هذه السلطنة على جزء كبير من وادى نهر أواشى وعلى جزء كبير من الهضبة الصومالية ، فقد توفر لديها قدر من الأرض الخصبة والمياه اللازمة للزراعة بما يكفى حاجة السكان . وقد هيأ لها ذلك الوضع الاقتصادى زعامة دولة الزيلع الإسلامية وتحمل أعباء الكفاح والجهاد ضد الحبشة ، كما هيأ لها موقعها الاستراتيجى الممتاز أن تكون حلقة وصل بين ممالك الزيلع الإسلامية الأخرى وبين دول العالم الإسلامى المختلفة وخاصة فى مصر والحجاز واليمن (٣) .

وكانت هذه الإمارة عامرة بالقرى ، ويكثر فيها المطر ليلا فى الغالب، ويمر بها نهر صغير فى إيفات، ولها قلعة على تل دار للملك . وبهذه المملكة عدة مدن أخرى ومن خيراتها الفواكه وقصب السكر . وكانت هى أوسع ممالك الزيلع أرضا، وكانت تملك ١١٥ ألفا من الفرسان وأهلها يتكلمون اللغة العربية، بجانب لغتهم المحلية (٤) .

ومما زاد من أهمية إيفات موقعها الجغرافى فى المنحدرات الشمالية

---

(1) The Atlas of Afriva, P. 227 .

(٢) العمرى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٧٨ .

(٣) المصدر السابق ، حـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٨٥ .

(٤) انظر فى ملاحق الكتاب الجدول الخاص بسلاطين أوفات ، نقلا عن كتاب الدكتور رجب محمد عبدالحليم ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

الشرقية لهضبة الحبشة (شوا) وهى منطقة كانت تمر بها أهم طرق القوافل من زيلع إلى أقاليم الحبشة الوسطى وكان نفوذها يمتد إلى زيلع مما جعل العمرى يقول : « إن من يملك إيفات يحكم زيلع » ٠

سلطنة عدل : ADAL

كانت عدل ضمن أقاليم سلطنة أوفات حتى عام ٨٠٥ هـ - ١٤٠٢م وكانت تعرف باسم « عدل الأمراء » (١) ٠وعندما سقطت دولة أوفات قامت بدلا منها دولة عدل بقيادة نفس الأسرة التى كانت تحكم أوفات وكانت هذه السلطنة الجديدة أقل من سلطنة أوفات السابقة فى المساحة والقوة العسكرية والاقتصادية ٠

فقد كانت تشمل الأرض الواقعة بين ميناء زيلع وهرر وتمتد جنوبا لتشمل جزءا مما يعرف الآن بالصومال الشمالى وإقليم الأوجادين ٠ ويمكن وضع مساحة هذه السلطنة بين خطى عرض ٨° ، ١٢° شمالا وخطى طول ٤٢° ، ٤٨° شرقا (٢) ٠

وقد أخذت هذه السلطنة اسمها من ميناء عدل الذى كان يقع على رأس خليج تاجورة قرب جيبوتى الحالية وكانت عاصمتها تسمى دكر (٣) حتى عام ٩٢٧ هـ /١٥٢١م عندما انتقلت العاصمة إلى مدينة هرر فى عهد السلطان أبو بكر بن محمد ٠

---

(١) العمرى : نفس المصدر السابق ، ق ٣ ، ورقة ٤٨٥ ٠

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٩ ٠

(٣) المقريزى : الإلمام ، ص ١٤ ٠

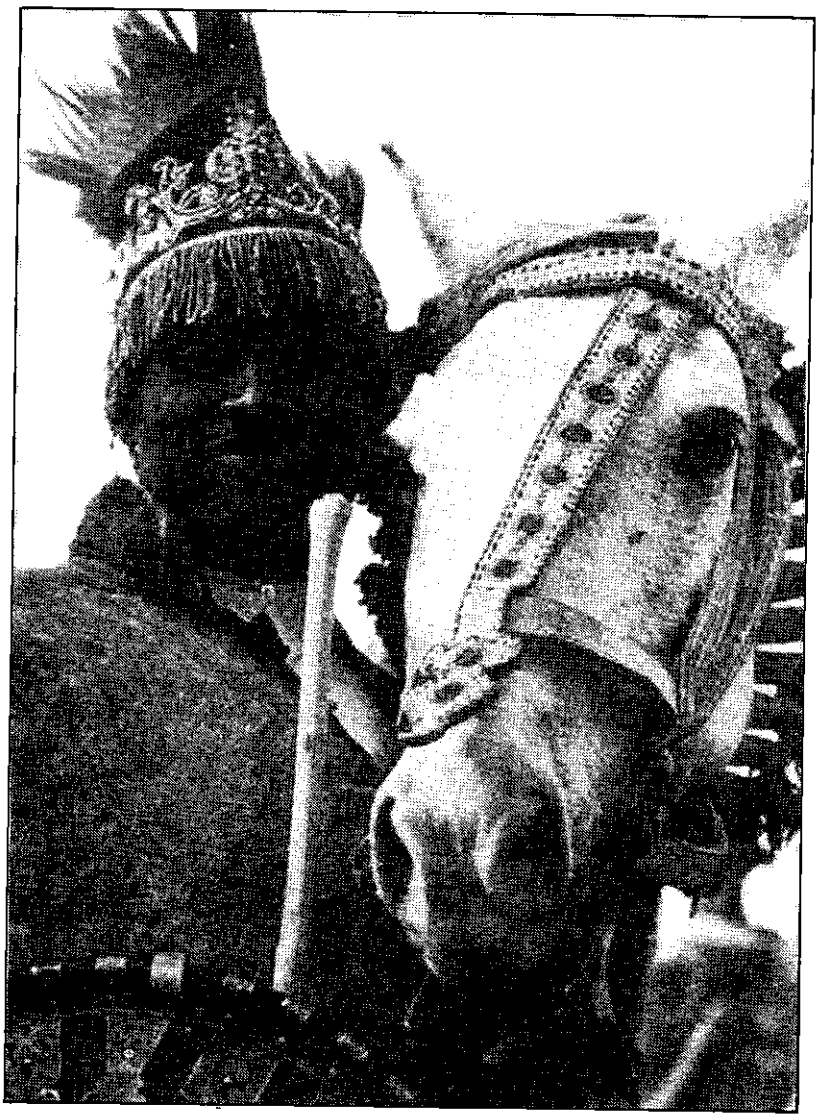

أحد قادة الأحباش

وبخلاف دكر وهرر كانت سلطنة عدل تشمل عددا آخر من المدن المهمة مثل مدينة زيفه وكداد وزعلكة وهوبت ومشمنجو دوسيم وبها نهر يسمى نهر شيخ (١) .

وقد توسعت هذه السلطنة فى عهد السلطان عمر الدين بن عمر من ذرية سعدالدين والإمام أحمد بن إبراهيم الغازى حتى ضمت كل ممالك الزيلع الإسلامية ومعظم أقاليم الحبشة المسيحية على الرغم من أنها كانت فى بدايتها أقل مساحة وقوة من سلطنة أوفات ، ولكن اتساعها على هذا النحو لم يستمر طويلا أمام الهجوم البرتغالى الحبشى كما سيأتى القول ، إذ هزمت تلك الدولة عام ٩٤٩ هـ /١٥٤٣م وانكمشت حدودها لتصبح دويلة صغيرة بين هرر وسواحل زيلع والصومال (٢) .

وكانت سلطنة عدل (٣) قد هاجمت الأحباش فى عهد دنجل بقيادة الأمير محفوظ حاكم زيلع ولكنه هزم وقتل سنة ١٥١٦ م واجتاح دنجل السلطنة وخيل إليه أن الخطر قد زال ، ولكن عدل سرعان ما استرجعت قوتها بفضل الأمير أحمد بن إبراهيم الذى سوف يأتى ذكره فيما بعد ، والذى ما كاد يطمئن على مركزه فيها حتى ضم العفريين والصوماليين فى قوة ضاربة كبيرة وتمكن من أن ينزل بالإمبراطور هزيمة كبيرة فى عام ١٥٢٩ (٤) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩ – ١٤ .

(2) Jones Monrie, Op, Cit., P. 85 .

(٣) راشد البراوى : « دكتور » الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة . ١٩٦١ ، ص ٥٢ .

(٤) انظر فى ملاحق الكتاب الجدول الذى يبين سلاطين عدل الإسلامية : نقلا من كتاب الدكتور رجب محمد عبدالحليم «العلاقات بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى » ، ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

٣ – إمـارة هديـــة الإسلامية Hadya :

وتقع هدية جنوب إقليم شوا وإقليم الداموت وشمال إقليم كمباتا ، وغرب البحيرة التى تسمى الآن بحيرة Zway التى سماها عرب فقيه باسم نهر زواى (١) .

وكانت مساحتها تبلغ مسيرة ثمانية أيام طولا وتسعة أيام عرضا (٢) ، وهى أقل مساحة من سلطنة أوفات، فقد بلغ عدد فرسانها أربعين ألفا، وعدد مشاتها أكثر من ضعف هذا العدد . ومع هذه القوة العسكرية فقد وقعت هدية تحت نفوذ الأحباش منذ وقت مبكر وخاصة بعد ضعف سلطنة عدل ، وصار ملوكها يدفعون الجزية لملك الحبشة أو إثيوبيا الحالية (٣) .

٤ – إمارة الدوارو الإسلامية (٤) :

تقع إمارة دوارو جنوب شوا وإلى الغرب من إيفات ، حيث تحد إيفات على الشاطئ الأيمن لنهر أواشى ثم تمتد جنوبا إلى نهر وابى الذى يحد الحدود مع إمارة بالى وهى المنطقة المعروفة الآن باسم عروس وعاصمتها مدينة « دكار» ويبدو أن هذه الإمارة كانت فى الإقليم المعروف الآن باسم « درداوة » على الخط

---

(١) عرب فقيه : فتوح الحبشة ، ص ٢٨٠ .

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٣) الحبشة وإثيوبيا : يقول جون جنتر : « إن كلمة إثيوبيا » يونانية الأصل ومعناها « وجه منحرق » ومعظم الإثيوبيين يكرهون الاسم القديم المتوارث وهو « الحبشة » لأن هذه الكلمة من أصل عربى ومعناها « الخليط » .

(٤) وقد ذكرها العمرى باسم دوارو وذكرها عرب فقيه باسم دواروا .
انظر : مسالك الأبصار ، حـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٨١ للعمرى ، فتوح الحبشة لعرب فقيه ، ص ٢٤ ، ٢٦ .

الحديدى الذى يربط أديس أبابا بميناء جيبوتى · وتتشابه ظروف الحياة فيها مع إخواتها من الممالك الإسلامية السابقة ، وإن كانت مساحتها أقل (١) ·

فقد ذكر العمرى أن طولها يبلغ مسيرة خمسة أيام وعرضها مسيرة يومين ، ورغم ذلك فقد كانت تملك جيشا قويا لا يقل عن جيش أوفات فى عدد الفرسان والمشاة (٢) · وتميزت أيضا باحتوائها على عدد كبير من المدن ، مثل مدينة ونباريه وكحل وبرى وزميت ورهرق·

٥ – **مملكة فطجار** Fatagar :

كانت هذه المملكة تقع حول الجزء الأوسط من نهر أواشى فى شماله وجنوبه ، وكان نصفها الشمالى يمتد شمالا حتى يصل قرب مدينة لابلابلا (لاليبالا الحالية) (٣) ·

وهو بذلك يفصل بين سلطنة أوفات وبين إقليم أمحرا (أمهر) وشوا · أما نصفها الذى يقع جنوب نهر أواشى ، فقد كان يتصل بمعظم الممالك الإسلامية التى تقع جنوب هذا النهر · كما يحده من الشرق سلطنة عدل وإقليم هرر ، ومن الغرب مملكة هدية وشرفة ومن الجنوب الشرقى مملكة دوارو ، ومن الجنوب الغربى مملكة بالى وعلى ذلك فقد كانت هذه المملكة تمثل أهمية كبيرة لمملكة الحبشة ، فهى تقع فى قلب الممالك الإسلامية ومن يسيطر عليها يستطيع أن يوجه ضرباته إلى تلك الممالك ·

---

(١) العمرى : مرجع سابق ، حـ ٣ ق ٣ ورقة ٤٨٠ ، ٤٨١ ·

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢١ ·

(٣) عرب فقيه : نفس المصدر، ص ٢ ، ٣ ·

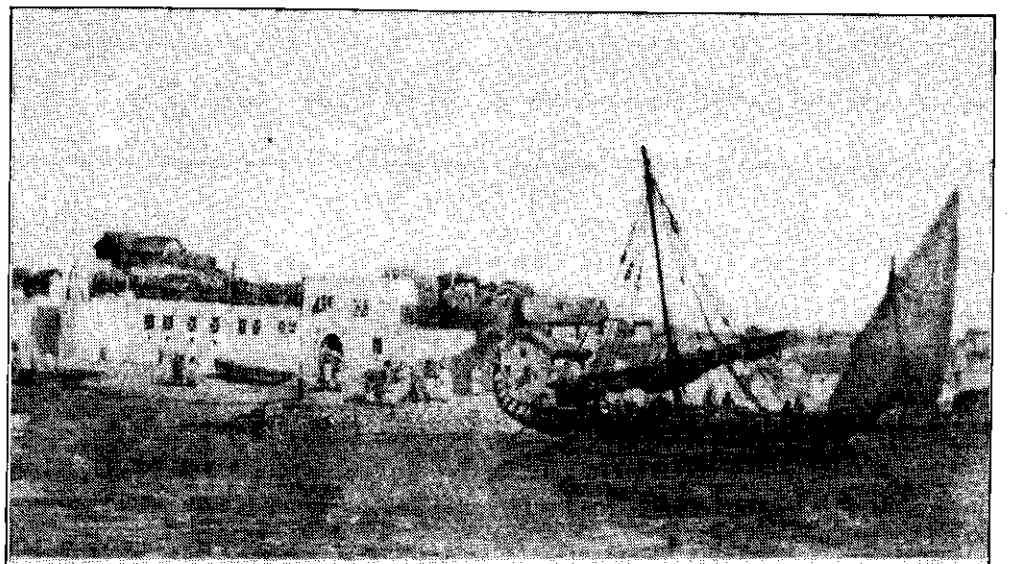

Another view of Massawa showing early nineteenth-century vessels
(Lefebvre, *Atlas* I, 9)

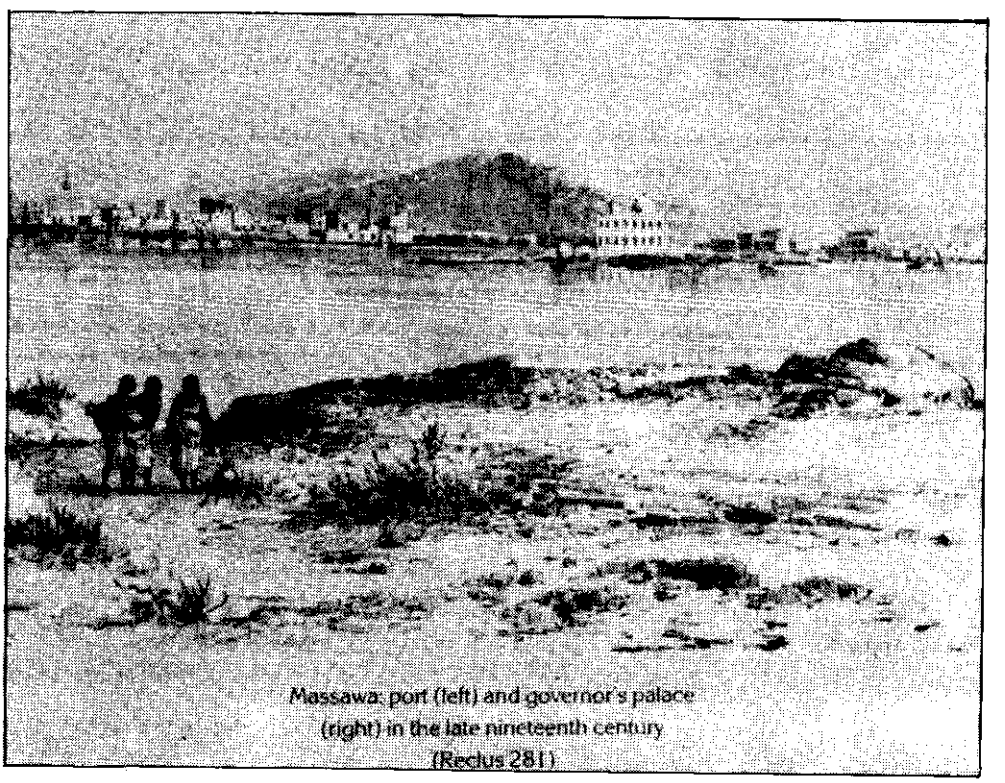

Massawa: port (left) and governor's palace (right) in the late nineteenth century
(Reclus 281)

منظرين لميناء مصوع القديم فى العصور الوسطى

كما كانت محور الاركتاز للإمام أحمد بن إبراهيم الغازى ، فمنها استطاع أن يوجه ضرباته لإقليم شوا وما يليه جنوبا ولإقليم أمهرا وما يليه غربا وشمالا (١) .

وقد ورد ذكرها عند عرب فقيه (٢) ،حيث وقعت على أرضها المعركة الشهيرة التى تسمى معركة شمبر كورى والتى كانت أول نصر كبير لمسلمى الزيلع على نصارى الحبشة عام ٩٣٥ هـ /١٥٢٩م (٣) ،كما ورد ذكرها عند العمرى حيث قال : أرابيين تقع بين دوارو وبين هدية (٤) . ولا ينطبق هذا الوصف إلا على مملكة فطجار التى كانت تقع بالفعل فى زمن عرب فقيه فى تلك المنطقة .

وكانت مملكة فطجار مملكة قوية ، فعدد فرسانها لا يقل عن عشرة آلاف فارس ، أما مشاتها فكثيرون (٥) . وأما مدنها وقراها فكانت عديدة . وقد كان نهر الوبى شبيلى يحيط بهذه المملكة من الجنوب ويفصل بينها وبين مملكة بالى ، كما هيأ لها فرصة الدفاع والمقاومة ضد أى هجوم خارجى يقع عليها بسبب هذه الطبيعة الجغرافية وما فيها من أنهار عديدة كانت تشكل حواجز طبيعية لها تأثيرها الفعال ضد أى عدوان خارجى (٦) .

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٢) عرب فقيه : مرجع سابق ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦١ – ٧٣ .

(٤) مسالك الأبصار : حـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٥) الصدر السابق ، حـ ، ق ٢ ، ورقة ٤٨٢ .

(٦) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢١ .

٦ - مملكة بالي الإسلامية :

كانت مملكة بالى تقع جنوب مملكة فطجار ويفصلها عن مملكة دوارو نهر وبى شبيلى ، وتقع فيها منابع وروافد نهر جوبا الذى ينحدر جنوبا حتى يصب فى المحيط الهندى جنوبى بلاد الصومال ٠

وقد أشار عرب فقيه إلى أحد روافد هذا النهر وسماه نهر (ونبات) وقال عنه أنه كبير كثير الماء مثل وبى شبيلى (١) ٠ وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن مساحتها مسيرة عشرين يوما طولا وستة أيام عرضا ، كما أشاروا إلى غناها ووفرة خيراتها وطيب هوائها وخصب أراضيها (٢) ٠

وعلى ذلك فقد كانت هذه المملكة تشمل أرضا واسعة تمتد بين نهر وبى شبيلى ونهر جوبا وروافده ٠

وقد كان سكانها كثيرين وجيشها كبير العدد ، إذ بلغ عدد فرسانه ثمانية عشر ألف فارس، وكان مشاتها أكثر من ذلك (٣) ٠ وقد تضمنت هذه المملكة التى تسمى الآن باسم إقليم أو مدينة بالى عددا كبيرا من المدن ٠

٧ - مملكة شرخة :

كانت المملكة تقع جنوب مملكة هدية ، كما كانت مساحتها محدودة وضيقة، فطولها يبلغ مسيرة ثلاثة أيام وعرضها مسيرة أربعة أيام (٤)٠ وكان جيشها يتكون من ثلاثة آلاف فارس وضعف هذا العدد من

---

(١) محمد عرب فقيه : فتوح الحبشة ، ص ٩٩ ٠

(٢) العمرى : مصدر سابق ، حـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٨٢ ٠

(٣) العمرى : نفس المصدر ورقة ٤٨٣ ٠

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٨٣ ٠

المشاة· وكانت كأخواتها داوروا وأرابيت فى بقية أحوالها من الزى والمعاملة والحبوب والفواكه والبقول وسائر ما لهم وما عليهم (١) ·

قد تحدثت فى هذا الفصل عن الممالك الإسلامية التى كانت تعيش فى تلك المنطقة منذ انتشار الإسلام فى القرن الإفريقى ، وهذه الممالك المذكورة لها علاقة وثيقة وقوية مع العفر بل بعض السلطنات كانت تتكون من الشعب العفرى حيث كان يطلق عليها بلاد الزيلع الإسلامية · وقد تحدثنا عنها بالتفصيل ، عن موقعها ومساحتها وقوتها العسكرية وبعض مدنها وأنهارها ومحاصيلها وطبيعتها الجغرافية باعتبار هذه الممالك لها صلتها بالقومية العفرية فكان لابد من ذكرها فى هذا الفصل لأن شعوب هذه المنطقة كانت تواجه نفس المصير المشترك من الظلم والاستعباد من جانب أباطرة إثيوبيا فى تلك الفترة ·

ومما هو جدير بالملاحظة أن المؤرخ الكبير القلقشندى أضاف إلى ممالك الزيلع جزر دهلك ومدينة عوان المواجهة لبلاد اليمن وكذلك سلطنة مقديشيو (٢) ·

باعتبار كل هذه البقاع كانت تدين بالإسلام ، ويعيش أهلها فى منطقة القرن الإفريقى وينتمى سكانها لنفس العناصر التى ينتمى إليها سكان بلاد الزيلع (٣) والعفر ، ولم تكن بعض ممالك الزيلع تعيش هى الأخرى حياة الاستقلال فى كثير من الأحيان · فقد كان الأحباش يبادرونها بالغزو والقتال

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٧ ·

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ·

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : حـ ٢ ، ص ٢٩ ·

والهجوم والاضطهاد ، ويفرضون عليها سيطرتهم وإن كانوا يبقون حكمها فى يد أسرات مسلمة تتوارث الحكم فيها تحت المظلة الحبشية (١) .

ويقول القلقشندى نقلا عن (مسالك الأبصار) إن جميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها ، لا يستقل منهم بملك إلا من أقامه سلطان أمهرا «النجاشى أو الحطى » وإذا مات منهم ملك ومن أهله رجال قصدوا إلى سلطان أمهرا ، وتقربوا إليه جهد الطاقة ، فيختار منهم ملك يوليه (٢) .

ثم قال : وهذه الممالك السبع ضعيفة البناء قليلة الغناء ، لضعف تركيب أهلها وقلة محصول بلادهم وتسلط النجاشى سلطان أمهرا عليهم، مع ما بينهم من عداوة الدين .

ثم حكى عن الشيخ عبدالله الزيلعى وغيره : أنه لو اتفقت هذه الملوك السبعة واجتمعت ذات بينهم ، قدروا على مدافعة الخطى أو التماسك معه ولكنهم مع ما هم عليه من الضعف وافتراق الكلمة بينهم تنافس .

ويمضى القلقشندى فيقول : « وقد أتى الحطى ملك الحبشة النصارى على معظم هذه الممالك بعد الثمانمائة « القرن الرابع عشر الميلادى » وقتل أهلها وحرق ما بها من المصاحف ، وأكره الكثير منهم على الدخول فى دين النصرانية » (٣) .

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٢) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(٣) القلقشندى : صبحى الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣٣٥ .

لكن هذا الوضع قد تغير منذ القرن الخامس عشر الميلادى حينما وصل سعار الصليبية إلى أقصى مداه فى نفوس الأحباش ، فصارت بعض هذه الممالك تحكم بواسطة حكام من النصارى الأحباش كان يرسلهم ملك الحبشة ، ويدعم حكمهم بحاميات عسكرية حبشية قوية كانت تقيم فى تلك الممالك الإسلامية ، مما دفع هذه الممالك إلى القيام بأكبر حركة للجهاد ضد الأحباش فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى· وسوف يتضح لنا ذلك عند حديثنا عن الصراع الذى نشب بين هرر وإمامها أحمد بن إبراهيم (جرن) وبين ملك الحبشة (لبنى دنجل) منذ عام ٩٣٤ هـ/١٥٢٧ م حتى عام ٩٤٩ هـ/١٥٤٢م (١) ·

(١) انظر الجداول فى ملحق الكتاب ملوك الحبشة من الأسرة السليمانية فى العصور الوسطى ، نقلا عن كتاب العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى ، للدكتور رجب محمد عبدالحليم ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ·